(ملخص البحث)

يلقي البحث الضوء على ملامح الشعرية في ديوان الفاخريات للأستاذ الدكتور علي محمد فاخر، أستاذ اللغويات المتفرغ في كلية اللغة العربية بالمنصورة، بدءا من علاقة هذا الديوان بشعر النحاة، ومرورا بشعرية العنوانات، واستدعاء التراث، والحديث على لسان الشخوص(القناع)، وتعظيم القيم الإنسانية، وانتهاء بالطرافة والفكاهة، في محاولة لتمهيد الطريق أمام الباحثين، من أجل دراسة مستوعبة للعالم الشعري للأستاذ الدكتور على محمد فاخر .

الكلمات المفتاحية: الفاخريات / ملامح الشعرية /على محمد فاخر

Abstract:
This study sheds light on the poetic features in the collection *Al-Fakhriyat* by Prof. Ali Muhammad Fakher, a retired professor of linguistics at the Faculty of Arabic Language in Mansoura. It begins by exploring the relationship between this poetic collection and the poetry of grammarians; it then delves into the poetics of its titles, the invocation of heritage, the use of personas (masking), and the exaltation of the value of loyalty, and it eventually concludes with elements of wit and humor. The study seeks to pave the way for future researchers to undertake a comprehensive examination of the poetic world of Prof. Ali Muhammad Fakher.
Keywords: *Al-Fakhriyat*, Poetic features, Fakher, Poetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

فـي منتصـف الفصـل الدراسـي للعـام الجـامعي ٢٠٢٥/٢٤م كانـت كليـة اللغـة العربيـة بالمنصورة علـى موعد مـع الاحتفاء بشاعر فريد، تمكن حبه فـي القلوب حتـى صـار أبا وأخـا وصـديقا، وهو فوق ذلك شاعر محـافظ، كـان يستحق الإشادة منذ أمد بعيد، ولكن الصـراعات الأدبيـة التـي كانـت سـائدة فـي الكليـة لـم تـتح لـه ولا لأمثالـه أن تلقـى علـيهم الأضـواء، ليقين مصـري محفور فـي النفوس منذ الأزل بـأن من يريد أن يبنـي مجدا عليه أن يتخلص من أمجاد من سبقوه، لذلك سرعان ما نعود إلـى نقطـة الصـفر فـي كل مرة، مقرين بـأن الأمجـاد لـم تخلـق لنـا، وإنمـا لأجيـال لـم تـأت بعـد، صـفت نيـتهم، وحسـنت ضمائرهم حتى صاروا ربانيين بما كانوا يعلمون الكتاب وبما كانوا يدرسون .

لكن الحق الذي لا مراء فيه أن خروج ديوان (الفاخريات) لسعادة الأستاذ الدكتور علي محمد فاخر[١] للنور كـان نقطـة الانطـلاق لمـا قيـل ومـا يقـال، ومـا يمكـن أن يقـال فـي دراسـات أخـرى، ممـا يعنـى أن الطاقـات النقديـة تبـدأ فـي شـحذ أسـلحتها مـع خـروج العمـل الأدبـي مطبوعـا، وليس قبـل ذلـك، لاحتمـال أن يغيـر الكاتـب وجهـة نظره بمجرد سماع رأي الناقد

---

[١] وُلِدَ الدكتور علي محمد فاخر بقرية ميت غزال، مركز السنطة –محافظة الغربية– ١٩٤٧م، التحق بكُتَّاب القرية، وحفظ القرآن الكريم، والتحق بمعهد طنطا الديني الأحمدي، وحصل على الإعدادية الأزهرية، ثم الثانوية، وكان ذلك عام ١٩٧٠م، ثم التحق بعد ذلك بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وحصل على الليسانس سنة ١٩٧٤م بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف، ثم الماجستير سنة ١٩٧٩م، ثم الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٨٥م، وقد عُيِّن في البداية معيدًا بكلية اللغة العربية بأسيوط ثم مدرسًا مساعدًا بكلية اللغة العربية بالمنصورة، فمدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا بها عام ١٩٩٨م، وقد أُعير للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.
وهو عضو لجنة المحكمين بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية، وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بقسم اللغويات، وقد رَأَسَ قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالمنصورة عدة سنوات حتى أحيل إلى المعاش سنة ٢٠١٣م، ومن مؤلفاته المنشورة . شرح المقرب لابن عصفور، و تحقيق شرح التسهيل لناظر الجيش المسمى . تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، و تحقيق المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للإمام العيني (٨٥٥هـ)، تحقيق منهج المسالك في شرح ألفية ابن مالك لأبي حيان النحوي (٧٤٥هـ) بالاشتراك مع أساتذة آخرين

في إبداعه، وهو ما يحدث وما سوف يحدث طالما وجد طرفا المعادلة الإبداعية أعني الشاعر والناقد.

لكن آلة النقد هنا ستتخفف من حدتها قليلا، ذلك أن العمل المحتفى به يخص شاعرا وإنسانا، وأبا وعالما، لا يزال ينهل من معينه وأخلاقه كل من ينتمي إلى كلية اللغة العربية بالمنصورة، ومن ثم سيركز البحث على ملامح الشاعرية في هذه الفاخريات متمثلة فيما يأتي :

- أولا . شاعرية العنوان .
- ثانيا . الحديث على لسان الشخوص(القناع).
- ثالثا . استدعاء التراث.
- رابعا . الظرف والطرافة.
- خامسا . النزعة الإنسانية.

وإذا كان منطق الضرورة الشعرية قد غلب على كثير من شعر النحاة، مما أكسبه طبيعة خاصة، هي الخروج عن القاعدة لأجل إقامة الوزن والقافية، فإن الأولى البعد عن الضرورة طالما أن في إمكان الشاعر أن يفعل ذلك ، قال ابن رشيق:((على أنه لا خير في الضرورة، على أن بعضها أسهل من بعض، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل به؛ لأنهم أتوا به على جبلتهم، والمولد المحدث قد عرف أنه عيب، ودخوله في العيب يلزمه إياه))[٢]، وقال ابن فارس:((والشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدُّون المقصور، ويقدّمون ويؤخرون، ويؤمنون ويشيرون، ويختلسون ويُعيرون ويستعيرون. فأما لحنٌ فِي إعراب أَوْ إزالةُ كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذَلِكَ)) [٣]

---

[٢] العمدة في محاسن الشعر وآدابه . أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٦٣ هـ). تحقيق . محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (٢/ ٢٦٩)

[٣] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) . الناشر . محمد علي بيضون. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م صـ ٢١٣.

إذا كان كذلك فإن كتب التراجم قد أفاضت في غمز شعر النحاة حتى جعلوه مستوى يبدأ بعده التجويد الشعري، فقالوا في ترجمة أحدهم: وله شعر أجود من شعر النحاة [٤]، وله شعر أجل من شعر النحاة، [٥]، وكان له شعر أردأ من شعر النحاة، فيه تكلّف وجسأة وتصنّع يذهب روق النظم، يمتدح به لطلب الازدياد. [٦]

وقد زاد الأمر وضوحا الأستاذ علي الجندي حين تحدث عن المازني في مجلة الرسالة قائلا:((ولم ينس المازني نصيبه من الشعر فنظمه على قلة، ولشعره حلاوة، وعليه ماء ورونق، وإن لم يخرج في جملته عن نطاق شعر النحاة والفقهاء والمعلمين الذين يعتمدون على حسن الرصف وإبداع الصياغة أكثر من اعتمادهم على الخيال الموشى والتصوير البارع)) [٧]

والحق أن منطق الضرائر لم يصب صاحب الفاخريات بأثر يجعلنا نصنفه من هؤلاء، إذ إنه كان يتعهد مواطن القول، ثم يعود إليها بالتحري والضبط والتنقيح، مصطحبا أنا الشاعر التي لم تكن تفرق بين أكاديمي وغير أكاديمي، ولا بين شاب وشيخ، ولا بين رجل وامرأة، لذلك صرح في حفل تكريم في الكويت بأنه (شاعر الشعراء) حيث يقول (من الكامل): [٨]

---

[٤] إنباه الرواة على أنباه النحاة . جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ). تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م (٢/ ١٥٨،٢/ ٢٥٤،٣/ ٣١)

[٥] المحمدون من الشعراء وأشعارهم. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ). حققه وقدم له ووضع فهارسه . حسن معمري. دار اليمامة .١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م (صـ ٢٣٤)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية – لبنان / صيدا (١/ ١٢١، ١٢٢)، ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ). تحقيق . إحسان عباس. دار صادر– بيروت – لبنان ١٩٩٧م (٣/ ٤٧٦)

[٦] إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤/ ١٦٥)

[٧] مجلة الرسالة . أصدرها . أحمد حسن الزيات باشا (ت١٣٨٨هـ) بترقيم الشاملة آليا (٣١٢/ ١٦.

[٨] الفاخريات (ديوان) –د علي محمد فاخر –ط. مكتبة الآداب – القاهرة –الأولى ١٤٤٣– ٢٠٢١م ١٤٩/١.

اليـــــــوم حفـــــــلُ وفرحـــــــةُ العلمـــــــاء
مـــــــا ذا ســـــــتنظم شـــــــاعرَ الشـــــــعراءِ
أعـــــــددتَ لليـــــــوم العظـــــــيم قصـــــــيدةً
عصـــــــماءَ تهـــــــديها إلـــــــى العظمـــــــاء
شـــــــعرا تســـــــير بـــــــه الركـــــــابُ مبينـــــــا
فضـــــــلَ النبـــــــوغ وفضـــــــلَ كـــــــل عطـــــــاء

بل إنه صرح عن معاناة الشاعر في قصيدته (رسالة الشعر والشعراء) [٩] التي كان يحب أن يصدر بها الديوان . وليته فعل ذلك . ، وفيها لا أراه إلا يعني نفسه حين يقول (من الطويل):

لـــكِ اللهُ يـــا مصـــرٌ تغضـــين مـــن فتـــى
يظـــلُّ طـــوالَ الليـــلِ يقـــدحُ فـــي الفكـــر
ومـــــا أهلُـــــك الأهـــــلُ الـــــذين يشـــــدهم
إلـــى الشـــعر قلـــب فـــي حنـــان وفـــي طهـــر

لكن أنا الشاعر قد بلغت أوجها عندما صرح في مقدمة الفاخريات وعلى الغلاف قائلا: (الشعر الذي بين يديك – أخي القارئ – من الشعر الموزون المقفى بذل فيه مؤلفه جهدًا كبيرًا في تنقيحه وتهذيبه بدءًا من تأليف القصيدة حتى خرج هذا الديوان إلى النور، تراكيبه صحيحة نحوا ولغة، وكلماته فصيحة وأسلوبه قوي، وأما معانيه ومعنى البيت الواحد فهي سهلة أيضًا، وأوزانه العروضية ليس فيها خطأ، والقصيدة مهما طالت أبياتها على قافية واحدة وروي واحد، ولا تعجب من ذلك – أخي القارئ – فصاحبه ومؤلفه دارس للغة العربية بفروعها المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وأدب وشعر ونصوص حياته كلها. غارق في بحورها طوال عمرة الذي بلغ سبعين عاما) [١٠]

---

[٩] الفاخريات ٢/ ٢٥٧

[١٠] غلاف الفاخريات

وإذا كان من الصعب أن تجد خطأ في الوزن لدى شاعر، فمن السهل جداً أن تجد خطأ أو أخطاء فى القافية، سواء من ناحية التوظيف أم من ناحية مراعاة القواعد العروضية، أما مسألة التراكيب الصحيحة نحواً ولغة فسأدعها لمن تخصص في شعر النحاة حتى لا أضع نفسى بين شقى رحى، فالنحويون يؤمنون بمثلهم الفريد (عجبت لنحوي يخطئ) وسيجدون لكل خطأ ألف مخرج، رغم أنهم في غنى عن الوقوع في الضرورة أصلا، طالما أن الشاعر لا يزال على قيد الحياة، وبإمكانه أن يعود إلى الضرورة ثم يتخلص منها، لكنني على يقين من أن قصيدة نهاية حب التي يقول فيها:[١١]

مـــــات الهـــــوى وتحطمـــــت آمالـــــي
ومشـــــيتُ بعـــــد النـــــورِ فـــــي الأوحـــــال

على بحر الكامل وليست من الطويل كما هو مسجل في الديوان .

كما أنني لا أجد سبيلا لوزن الشطرة الأولى في قصيدة حفل تكريم في الكويت، حيث يقول الشاعر:[١٢]

أمـــــا ابنـــــا مصـــــر العائـــــدان ومصـــــ
ـــــر أم عمرهـــــا تحنـــــو علـــــى الأبنـــــاء

كما لا أجد سبيلا لوزن الشطرة الثانية من قول الشاعر في قصيدة (فصل من قصة الحب):[١٣]

أهلـــــوك حـــــالوا دون جمـــــع شـــــتاتنا
فصـــــبرت قـــــائلا: إنـــــه تضـــــليل

وكيف أستسيغ سناد التوجيه في قصيدة (تهنئة بعقد قران)[١٤]،أو في قصيدة (رسالة إلى قومها) حيث يقول: [١٥]

---

[١١] الفاخريات ١/ ١١١
[١٢] الفاخريات ١/١٤٩
[١٣] الفاخريات ٢/٦٨
[١٤] الفاخريات ٢ / ١٨٩
[١٥] الفاخريات ٢/ ١٠٦

برغمـــــــــيَ ذاك القلـــــــــى والغضـــــــــبْ
فنفســـــــي فـــــــوق الســـــــماء والشّـــــــهُبْ
ومـــــــا كـــــــان ذاك الجفـــــــاء اختيـــــــارا
ولا ذلـــــــك البعـــــــدُ منـــــــي رغـــــــب
ولا حـــــــــدَّثتنيَ فيمـــــــــا مضـــــــــى
عـــــن البعـــــد نفســـــي فقلـــــتُ انســـــحبْ

أو قصيدة (تجرع السم في الثامنة عشرة من عمره) حيث يقول الشاعر:[١٦]

بموتـــــــك هـــــــذا فجعـــــــتَ البلـــــــدْ
وكـــــــلٌ يكـــــــذب مـــــــا قـــــــد شـــــــهِدْ
وكـــــــــلٌّ يكـــــــــذِّبُ مـــــــــا عينُـــــــــه
تـــــــراه كأنـــــــك صـــــــنوُ الأبـــــــدْ

وكيف أستسيغ سناد التأسيس في قصيدة (الموت في طلب الخلود) عند قول الشاعر:[١٧]

فـــــلا تبـــــغ مجـــــدا إن تكـــــن متكاســـــلا
ولا تـــــرجُ فـــــوزا حـــــين فعلـــــك هـــــازل
وفـــــــي الســـــــابقين الأولـــــــين منـــــــارةٌ
وقـــــدوة مـــــؤتم ومـــــن هـــــو عاقـــــل
وفـــــي كـــــل ميـــــدان وفـــــي ســـــاحة الـــــوغى
تـــــرى العظمـــــاءَ الفـــــائزين سَـــــمَوْا عَلُـــــوا

ولعل السر في إخراج الديوان في هذه الأيام يكمن في شعور الشاعر بدنو الأجل بعد بلوغه السبعين، حيث إن مخطوطات الديوان التي كانت تملأ خمس كراسات كبيرة، ظلت تقيم معه، وتسافر معه في أي مكان يقيم به، في طنطا أو في القاهرة، في مصر أو في

---

[١٦] الفاخريات ٢ / ١٦١

[١٧] الفاخريات ٢ / ٢٣٢.

السعودية، في القرية أو في المدينة، وكان حريصا عليها حرصه على نفسه، خائفا من ضياعها، ولم تكن قصائد الديوان هي أول كتابات الشاعر، بل سبقتها تجارب كثيرة طوال خمسة أعوام (١٩٦٦- ١٩٧٠م) كتب فيها مئات القصائد، وبعضها نشر في الصحف والمجلات، ولكن عندما راجع هذه القصائد ومسوداتها، وأوراقها ومخطوطاتها وجد فيها أبياتا لا ترقى إلى مستوى الفن والشعر فاضطر إلى استبعاد القصيدة كلها، وهذا نقد ذاتي فريد.

وقد شملت القصائد التي استبعدها تجارب شعرية كثيرة، وعواطف كانت للكتابة مثيرة، فمن الوطنيات ما قاله حاكيًا مجد العرب من قصيدة طويلة (من البسيط):

بـــــالأمس سُـــــدْنا ملـــــوكُ الأرض قاطبـــــةً

كـــــانوا رجـــــالا وكنـــــا نحـــــن ركبانـــــا

وفي الرثاء كتب قصيدة بلغت خمسين بيتا في رثاء الشهيد الفريق عبد المنعم رياض وكان قد استشهد في حرب الاستنزاف (١٩٦٩م) وقد ألقى هذه القصيدة بدار المعلمين بطنطا في حفل تأبين له، كان مطلعها (من الكامل):

جـــــزع الـــــورى لممـــــات (عبـــــدالمنعم)

والكـــــلُّ يبكـــــي بالـــــدموع وبالـــــدم

والحق أن شاعرنا قد أتعب نفسه في إخراج ديوانه وأعمل فيه ذهنه تدقيقاً وشرحاً حتى لا يترك كلمة معجميه إلا فسرها، ولا كناية إلا أشار إليها، ولا معنى يحتمل معنى آخر إلا أشار إلى المعنى المراد، وتلك مزية لا تجدها في شعر معاصر . [١٨]

ويهمنا هنا أن نقف على ملامح الشعرية في ديوان الفاخريات، حتى نمهد الطريق أمام الباحثين في أطروحاتهم العلمية في شعر هذا العلم الأكاديمي الفريد، وهو ما تعكسه الصفحات الآتية:

[١٨] هناك أخطاء طباعية في الصفحات ١/ ١٥٢، ٢/ ٢٧، ٢/ ١٠٦، ٢/٢١٨، ٢ / ٢٧٣

أولا . شاعرية العنوان:

ربما كان البدء بالعنوان لونا من الترتيب المنطقي، بما أن العنوان هو بداية القصيدة الشعرية، مع يقيننا بأن العنوان قد يتأخر – وغالبا ما يحدث ذلك – إلي مرحلة ما بعد كتابة القصيدة، لكن العنوان لا يحتاج إلي كبير تدليل علي أنه وثيق الصلة بالتجربة الشعرية ؛ لأن أصحاب المعجمات العربية لم يتوقفوا به عند كونه وصفا للشيء، وإنما ذهبوا إلي أكثر من ذلك حين أرجعوا اشتقاق العنوان إلي المعني نفسه، فالفيروز آبادي يقول:((وعنوان الكتاب سمته كمعناه)) [١٩] وابن منظور يقول:((وعنوان الكتاب مشتق فيما ذكروا من المعني)) [٢٠]

كل ذلك يجعلنا علي يقين من أن العنوان هو بمثابة الهوية للقصيدة ؛ لأنه . أولا . يحمل لنا صورة من صور تفسير الشاعر لقصيدته، فالعنوان هو آخر ما يكتب من النص الشعري بعد أن تزول عن الشاعر حالة المخاض الكتابي ... وسوف يكون خلاصة دلالية لما يظن الشاعر أنه فحوي قصيدته، أو أنه الهاجس التي تحوم حوله، فهو – إذا – يمثل تفسير الشاعر لنصه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن العنوان هو إعلان عن النص وإشهار له، ويتضمن ذلك إغراء القارئ باستقبال النص والدخول إليه، ولا ريب أن الشعراء عموما يدركون هذا المعني الإغرائي ويسعون إليه بإخلاص واع، ولذا نجد بلاغة متميزة في اختيار العناوين)) [٢١]

((وإذا كان تعدد الموضوعات في القصيدة العربية قبل العصر الحديث من وراء اختفاء الحاجة إلي عنونتها، فإن اتجاه القصيدة العربية بعد العصر الحديث إلي الوحدة العضوية كان من دوافع عنونتها وسهولة اتخاذ العنوان المناسب لها)) [٢٢]؛ لأن أصحاب الديوان كانوا يؤمنون بفكرة((تعميق الاهتمام بموضوع عنوان القصيدة، استمرارا لمحاولات بعض شعراء الاتجاه السابق، ولكنهم تجاوزوها إلي وضع عنوان للديوان كله، ليدل علي الإطار

---

[١٩] القاموس المحيط (عنا) جـ ٤، صـ ٣٦٧ .

[٢٠] لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ) . دار صادر . بيروت . الثالثة – ١٤١٤ هـ (عنا) جـ ٤، صـ ٣١٤٧ .

[٢١] ثقافة الأسئلة . د / عبد الله محمد الغذامي، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، صـ ٤٧، ٤٨ .

[٢٢] العنوان في الأدب العربي . د / محمد عويس، مكتبة الانجلو ، الأولي، ١٩٨٨ م، صـ ٢٧٩ .

العام للديوان، كما تجد في (عابر سبيل) للعقاد، و(أزهار الخريف) لشكري، وكان سابقوهم يذكرون ديوان البارودي، ديوان شوقي ... وهلم جرا)) [٢٣]

والملاحظ أن عنوانات الفاخريات قد فرضتها طبيعة المناسبة من مدح وتهنئة ورثاء وغزل كعادة الشعراء المحافظين، مما جعل الحدث يشغل الشاعر كثيرا عن وضع عنوانات شعرية تليق بالحدث، مكتفيا بعنوانات صحفية، قد تصرف المتذوق عن متابعة ما في النص من مواطن الجمال اكتفاء بمعرفة الهدف من تلك العنوانات، فقد سجل هذا الديوان عدة قصائد في رثاء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذي توفى في سبتمبر سنة ١٩٧٠م، كما سجل انتصارات المصريين في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م على إسرائيل، كما جاءت فيه قصائد رثاء مختلفة للدكتور طه حسين (١٩٧٣م)، ولأم كلثوم (١٩٧٥م)، وللأستاذ علي أمين (١٩٧٦م، وللشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي (١٩٧٧)، وللشيخ مصطفى إسماعيل (١٩٧٨) وهكذا، ولكن معظم هذه العنوانات قد غلبت عليها النثرية

وقد رأى الشاعر أن يسجل حق الوفاء لسيدة الغناء العربي أم كلثوم التي غرستْ فِيه حبَّ الشعر وحفظَه، فحفظ منها القصائد الدينية والقصائد الوطنية لأحمد شوقي وحافظ إبراهيم (مصر تتحدث عن نفسها) وأبي فراس (أراكَ عَصِيَّ الدمعِ)، وأحمد رامي (رباعيات الخيام)، و(الأطلال) لإبراهيم ناجي، و(حديث الروح) لمحمد إقبال، و(الثلاثية المقدسة) لصالح جودت، و(قصة السد) لعزيز أباظة، فكان أن كتب قصيدة في مدحها تحت عنوان (إلى كوكب الشرق السيدة أم كلثوم) قال في مطلعها (من الطويل): [٢٤]

ملكتِ عِنان الفنِّ يا كوكب الشرقِ
وأحرزتِ في ميدانه قصب السبقِ

وبين يديكِ الفنُّ ألقى ركابه
وحلَّ على الآماد عِقدًا على الطوْقِ

---

[٢٣] الأدب العربي الحديث. د/ يوسف نوفل وآخرين، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ٩٥ / ١٩٩٦ م ، صـ ٦٤ .
[٢٤] الفاخريات ١/ ٨٦.

وقد تميل عنوانات القصائد عند الشاعر إلى الشاعرية أحيانا، لكنها تظل عنوانات تقليدية محافظة، تتكون في الغالب من شطرة من بيت، كما في قصائده: قلبي اليك من الحنين يمزق[٢٥]، يا ليتني كنت المصاحب في الطريق [٢٦]، يا بنت عم العفو عند المقدرة [٢٧]، تحن إليها بعد ما غدرت بنا[٢٨]، رامت لي الذل في الحب الذي زعموا[٢٩]، اليوم مزقت القيود [٣٠]، قتل الغرام فإنه شرك [٣١]، إليك أسوق اعتذاراً جميلا[٣٢]، شرفت أسيوط بالقوم [٣٣]، إلى الأفق الأعلى أمد بصيرتي[٣٤].

وقد تكون العنوانات عنوانات جادة، أخذت من نفس صاحبها كثيراً، حين يدير الحوار بينه وبين. نفسه وهو يختار عنوانا، ثم يقرر فى النهاية أن يترك العنوانين لذوق المتلقي يعجبه ما يشاء فيهما، جريا على عادة الشاعر في غرامه بتسجيل أدق التفاصيل، على النحو الذي يبدو فى قصيدة: الموت في طلب الخلود، أو إلى الأفق الأعلى أمد بصيرتي، الذي هو الشطر الأول من البيت الرابع والعشرين من القصيدة [٣٥]، وكذلك قصيدة سلاح وحب[٣٦]، أو من حبيب على الجبهة إلى حبيبته، و من فتاة مصرية إلى حبيبها على الجبهة، رد على الرسالة السابقة[٣٧]، وقصيدة ماذا تريدين أو قصة الحب[٣٨]، وهناك

---

[٢٥] الفاخريات ٢/١٧.
[٢٦] الفاخريات ٢ /٢٢
[٢٧] الفاخريات ٢/٩٠
[٢٨] الفاخريات ٢/ ١٢٢
[٢٩] الفاخريات ٢/ ١٢٤
[٣٠] الفاخريات ٢/ ١٢٦
[٣١] الفاخريات ٢/ ١٨٤
[٣٢] الفاخريات ٢/ ١٨٦
[٣٣] الفاخريات ٢/ ٢٧٨
[٣٤] الفاخريات ٢ ٢/ ٢٣٢
[٣٥] الفاخريات ٢/ ٢٣٢
[٣٦] الفاخريات ١/٢٨
[٣٧] الفاخريات ١/ ٣١
[٣٨] الفاخريات ٢/ ٦٣

عنوانات فيها بعض الشعرية مثل عنوان قصيدته: إلى كواكب الأزهر أو إلى قادة الإسلام[٣٩].

وكل ذلك يغتفر للشاعر طالما أن له مسوغا، أما أن يكون عنوان القصيدة: (تجرع السم في الثامنة عشرة من عمره) أو (نعم بشرط الميثاق الوطني وبرنامج ٣٠ مارس) [٤٠]، أو غارة وحشية من إسرائل على طائرة ليبية [٤١]، فهذه عنوانات بينها وبين الشاعرية سنوات ضوئية .

ثانيا . الحديث على لسان الشخوص(القناع)

في رحلة البحث عن أثر للقصة والمسرحية في الشعر العربي الحديث .وقف بنا هذا الشعر على أنماط متعددة، تجلت أول ما تجلت في تعدد الأصوات في النص الشعري، مما نتج عنه اشتمال القصيدة على أكثر من وزن عروضي تبعا لهذا التعدد، ثم كانت هناك تقنيات [٤٢] أخرى أتقنها الشاعر الحديث، وحملها أبعادا من رؤيته الفنية، كالحوار، وأسلوب القص، والمنولوج الداخلي، واستدعاء الشخصية التراثية، واتخاذها قناعا يبث من خلاله الشاعر أفكاره وطموحاته .

ويأتي القناع في طليعة تلك التقنيات المسرحية التي وظفها الشاعر الحديث في قصيدته توظيفا جيدا، ابتعد به قليلا أو كثيرا عن أصل وضعه المسرحي، بحيث بات وسيلة فنية يستخدمها الشاعر عامدا، ليضع تجربته وجها لوجه أمام المواقف والمحن الاجتماعية الكبرى التي مرت بها الشخصيات النموذجية في تراثنا العربي، على النحو الذي يجسده قول الشاعر عبد الوهاب البياتي:((حاولت أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا وفي كل العصور (في موقفه النهائي) وأن أستبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في

---

[٣٩] الفاخريات ١ /٩٠

[٤٠] الفاخريات ١/ ٤٢

[٤١] الفاخريات ١/٥٩

(٤٢) التقنية : هي" جملة المبادئ أو الوسائل التي تعين علي إنجاز شيء أو تحقيق غاية، وتقوم اليوم علي أسس علمية دقيقة" المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ١٩٧٩ صـ ٥٣ . ويمكن استخدام كلمة (التقنية) المعربة حديثا بدلا من الحرفية أو الصنعة . معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د إبراهيم حمادة . دار المعارف ١٩٨٥ صـ ١٠٠ .

أعمق حالات وجودها، وأن أعبر عن النهائي واللانهائي، وعن المحنة الاجتماعية التي واجهها هؤلاء، وعن التجاوز والتخطي لما هو كائن إلى ما سيكون)) (٤٣)

ولعل أروع ما يمكن أن يستوقف قارئ الفاخريات . تلك القصائد التي تحدث فيها الشاعر بلسان شخصيات أخرى، ليحدث لونا من تعدد الأصوات في القصيدة، في محاولة التقمص للحديث بأصوات هذه الشخصيات، بما يتطلبه هذا الأمر من براعة مسرحية.

لكن تقنية (القناع) لم تكن هدف الشاعر الأول، بقدر ما كان يعنيه الجانب الانساني والنفسي، وهو يتحدث على لسان حبيبة لحبيبها المناضل على الجبهة، أو على لسان ابن لوالده الذى خرج يدافع عن الأرض هناك، وقد تجلى ذلك واضحاً ورائعا في آن معا عندما تحدث على لسان فتاة فقيرة يعمل أبوها بوابا على عمارة فهي تتحدث مع أبيها وتقارن بينها وبين أقرانها من الفتيات اللاتي يقمن في العمارة فتقول(٤٤):

إلام أبـــــي نظـــــل بســـــوء حـــــال
ونبقـــى فـــي الشـــقاء مـــدى الحيـــاة
ننـــام علـــى فـــراش مـــن تـــراب
ونلقـــي رأسَـــنا ظهـــرَ الصـــفاة
ونلتحـــف السمـــاء فـــلا غطـــاء
يقينـــا مـــن أذاة أو شـــكاة
أرانـــا يـــا أبـــي تعســـاء حـــظ
رمانـــا الـــدهر كرهـــا بالهنـــات
ولـــم يـــرحم كبيـــر الســـن شـــيخا
ولـــم يشـــفق علـــى قلـــب القطـــاة
قراءاتـــي أبـــي درســـي بضـــوء
أصـــاب العـــين منـــي بالقـــذاة

(٤٣) تجربتي الشعرية . عبد الوهاب البياتي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت . الثالثة . ١٩٩٣ م صـ ٤١.
(٤٤) الفاخريات ٢ / ١٦٤

وأبصـــــــــر حـــــــولي الأضـــــــواء تزهـــــــو
علـــــــــى الـــــــــدنيا بإحـــــــــدى المعجـــــــــزات
ومـــــــــــا رق امـــــــــــرؤ أو رق قلـــــــــــب
فيعطـــــــــف أو يحـــــــــن علـــــــــى الفتـــــــــاة
فيعطينـــــــــا بـــــــــلا بخـــــــــل ســـــــــراجا
ويهـــــــــــــدينا بإحـــــــــــــدى النيـــــــــــــرات

لكن هذا اللون من القصائد[٤٥] لم يكن يتعدى طور المحاولات، بدليل أن الشاعر قدم لهذه القصائد بما يوحي بأنه يعتذر عن مثل هذا اللون الفني، حيث يقول: ((ومن خيال الشعراء كتبت بعد ذلك أربع قصائد، وهي عبارة عن رسالتين والرد عليهما: الأولى على لسان جندي شجاع على الجبهة إلى حبيبته، يحكي فيها فرحة الجنود المصريين بانتصاراتهم وعبورهم قناة السويس وتحطيم خط بارليف الحصين؛ دفاعا عن وطنهم، وتحريرا لأرضهم، أقول منها: (من المتقارب):[٤٦]

أخـــــــوض القتـــــــالَ دفاعًـــــــا لِحُبِّـــــــي
وألقـــــــى الحُتُـــــــوفَ ليبقـــــــى حبيبـــــــي
حلفـــــــتُ بعمـــــــركِ والحـــــــبِّ لـــــــن
أعـــــــودَ بغيـــــــر انتصـــــــارٍ عجيـــــــبِ

فترد عليه حبيبته قائلة في الرسالة أو القصيدة الثانية (من الكامل): [٤٧]

مَهـــــري هـــــو النصـــــرُ الـــــذي تـــــأتي بـــــه
وهْـــــو الطريـــــقُ إلـــــيَّ وهْـــــو المـــــدخلُ
يـــــا فارسًـــــا عُـــــدْ ظـــــافرًا أو لا تعُـــــدْ
فالنصـــــرُ قبـــــل الحـــــبِّ يـــــأتي أولُ

---

[٤٥] ينظر : الفاخريات قصائد : من حبيب على الجبهة الى حبيبته ١ /٢٨، من فتاة مصرية إلى حبيبها على الجبهة ١/ ٣١، من ولد إلى والده على جبهة القتال. ١ / ٣٤، من والد على الجبهة إلى ولده الصغير ١ /٣٨

[٤٦] الفاخريات ١/ ٢٨.

[٤٧] الفاخريات ١/ ٣٣.

وأما القصيدة الثالثة فهي على لسان طفل كان في مدرسة بحر البقر التي ضربتها إسرائيل وأطاحت بأطفالها، وكانت معهم ليلى الصغيرة رفيقة هذا الطفل؛ فبعث إلى أبيه برسالة أو بقصيدة يحكي ذلك كله، جاء في آخرها)) (من البسيط): [٤٨]

فيـــا أبـــي ثـــأرُ ليلـــى فـــي رقـــابكمُ
فشخصـــها بجـــواري مـــاثلا خَجِـــلا
وطيفُهـــا كـــلَّ ليـــلٍ جـــاء يزعجنـــي
وروحُهـــا كـــم تقـــول الســـيفَ لا الرسُـــلا
إن لـــم تكونـــوا لليلـــى ثـــائرين فـــلا
عُـــدتم ولا كنـــتمُ آبـــائيَ الأُولا

فيرد عليه أبوه قائلا من قصيدة طويلة جاء في آخرها أيضا في حديث عن ليلى: (من الكامل)[٤٩]

قـــلْ يـــا مُنـــى عينـــي: أبـــي وجنودُنـــا
أخـــذوا بثـــأركِ فاهـــدئي مـــن غضـــبةٍ
لا تجزعـــي إنـــا عرفنـــا أمـــرهم
جنـــدًا تفـــرُّ وقـــادةً فـــي نـــزوةٍ

كما كتب الشاعر على لسان مهندس نجا من زِلْزَالُ مِصْرَ المُروِّعُ الذي وقع في الثاني عَشَر من أكتوبر ١٩٩٢م، وكان مما قدم به للقصيدة قوله: (وهذه قصيدة على لسان المهندس المصري أكثيم الذي خرج حيا بعد أن عاش تحت الأنقاض ثمانين ساعة وشاهد الموت وهو يغتال أمه وزوجه وابنته ولكنه لم يستطع دفع الموت عنهم، وكالعادة تستهوي هذه الحوادث شاعرنا حيث تتيح له ان يسترجع ذكريات البطل مع نفسه، ثم مع الأم والبنت والزوجة، ثم صراعه مع الموت، ولم ينس أن يتوجه إلى التجار فخاطبهم، وتوجه الى مصر فناجاها، لذلك طالت القصيدة إلى حيث يقول الشاعر: [٥٠]

---

[٤٨] الفاخريات ١/ ٣٦.
[٤٩] الفاخريات ١/ ٤٠.
[٥٠] الفاخريات ٢/ ٢٤٦

وأتـــــى الـــــدَّورُ بعـــــد أمـــــي وزوجـــــي
وفتـــــــــاتي وكلهـــــــــن غَوَالـــــــــي
جاءنِـــــي المـــــوتُ وهـــــو غُـــــولٌ عظـــــيمٌ
هـــــــازِمٌ كـــــــلَّ ذي قـــــــوةٍ واحتيـــــــال
قـــــال: أهـــــلاً بـــــآخر الـــــزاد حُلْـــــوِ
الطَّعـــــمِ والمـــــاءِ الطيّـــــبِ السَّلســـــالِ
قلـــــتُ: يـــــا مـــــوتُ قـــــد شَـــــبِعْتَ وأُتْخِمْـــــ
ـــــتَ فَفُـــــكَّ الأســـــيرَ قَيْـــــدَ الحبـــــال
كُـــــنْ كريمـــــا ســـــمْحا وأَطلِـــــقْ سَـــــراحي
واعْـــــفُ عنـــــي واتْـــــرك ســـــبيلي لحالـــــي
قـــــد أخـــــذتَ الغالِـــــي النَّفـــــيسَ مـــــن
الأهـــــلِ فكـــــن مـــــرّةً أصـــــيلَ الخـــــال
أنـــــتَ ذوُ قـــــوة مكـــــينٌ عظـــــيمٌ
قـــــاهرٌ قـــــادرٌ علـــــى أمثالـــــي
مـــــن يكُـــــنْ قـــــادِرًا ويعفـــــو ســـــماحا
كـــــانَ فـــــي رَكْـــــبِ السَّـــــادة الأقيـــــال

وسرعان ما غلبت نزعة الوعظ على لغة الشاعر فقال مستنكرا ما يفعل التجار:

هـــــل أصـــــابَ التجـــــارَ والقـــــومَ غِـــــشٌّ ؟
فجديـــــدُ البيـــــوت أضـــــحى البالـــــي
هـــــل أبـــــا حـــــوا الكَسْـــــبَ الحـــــرامَ وســـــاروا
فـــــي ظـــــلام ومـــــا اكْتَفَـــــوْا بـــــالحلال ؟
اســـــتغلوا فـــــي النـــــاس حاجـــــة مـــــأوى
فَبَنَـــــوْا كـــــالهواء كـــــلَّ بيـــــت عـــــالي

فـــــي هبـــــوب الريـــــاح يَـــــرْقُصُ رقْصًـــــا
وإذا اشـــــــتدتْ نَـــــام تحـــــــت الرمـــــــال
قتلـــــوا النـــــاسَ أزهقـــــوا الـــــروحَ عمـــــدًا
يـــــا لَسُـــــوءِ العـــــذابِ يـــــومَ المـــــآل

لكن تقنية القناع قد بلغت أوجها في قصيدة (ولد يا رب) حيث يقول فيها الشاعرعلى لسان امرأة ثرية مضى على زواجها عشرون عاما، ولم تنجب، وقد رآها وتحدث معها وشعر بها حيث كانت قريبة له، وقد رأى أن الذهب الذي يملأ يدها لا قيمة له، لأن يدها لا تتحرك في خدمة طفل فيسمع رنين الذهب، ومنها أنها ترى امرأة أخرى أنجبت تسعة أولاد وهي سعيدة بهم، رغم شقائها في خدمتهم وهكذا تقول: [٥١]

مَلَّـــتْ يـــدي الـــذهبَ الـــذي لبســـت وقـــد
ذهـــــب البريـــــقُ بـــــه وصـــــار ثقـــــيلا
مـــــا قيمـــــةُ الـــــذهبِ الـــــذي لبســـــت يـــــدي
إن لـــــم يصـــــــوِّتْ رنـــــــةً وصـــــــايلا
مـــــا قيمـــــة الحســـــن الـــــذي أعطيـــــت لـــــي
يرتـــــــاع منـــــــه النـــــــاظرون ذهـــــــولا

وبما أن الشاعر كان يعتمد في بناء القصيدة على التداعي الحر للذكريات، فقد طالت قصائده كثيرا، فإذا أراد مثلا أن يرثي ولدا على لسان امه، تحدث عن وقع الخبر عليها ومشاركة مفردات الطبيعة لها في مصابها، ثم تحدث عن طفولة الطفل، وعن والده الذي سبقه الى القبر، وعن خطيبته التي كانت تنتظره، وعن البيت الذي كان ينتظر عرسه، ثم تضرع إلى الله بالدعاء مع نهاية القصيدة، وبين كل مرحلة وأختها فواصل طباعية حرص الشاعر على وضعها، وكل ذلك أسهم في إطالة القصائد، ناهيك عن التقدمة لها بمقدمة نثرية، على النحو الذي يبدو في قصيدته (الوداع الأخير يا ولدي) حيث يقول: (لم يكن لها غيره فربته وعلمته إلى سن الثلاثين، وخطبت له، وعقدت قرانه على فتاة جميلة،

[٥١] الفاخريات ٢/ ١٤٩.

وفجأة نعاه القدر إليها غريقًا في البحر بالإسكندرية (١٩٧٦م) حيث كان يعمل، فكتبتُ على لسانها: (من بحر الكامل) [٥٢]

يـــــا عـــــينُ مـــــاؤك بعـــــده ســـــيّالُ
ذهـــــب الجمـــــالُ ولـــــيس بعـــــدُ جمـــــالُ
الـــــدهرُ بـــــين القلـــــب صـــــوب ســـــهمَه
ورمـــــى فكـــــان المـــــوتُ والأهـــــوال
واختـــــار – والـــــدنيا تمـــــوُج بأهلهـــــا
ولـــــدي ليقتلـــــه وتهـــــدا الحـــــال
... ابنـــــي الحبيـــــبَ، وقـــــد جلســـــت جـــــوارَه
وعليـــــه دونَ جمالـــــه أســـــدال
ومشـــــت بنـــــا ســـــيارةٌ لـــــو أنهـــــا
تـــــدري بحزنـــــي لـــــم يكـــــن إقـــــلال
أصـــــحيح أنـــــك ميـــــت أم أنهـــــا
إغمـــــاءة ووداعـــــة ودلال
مـــــات العظـــــيمُ ابـــــن العظـــــيم فلـــــيس لـــــي
رجـــــلٌ لكـــــل ســـــعادتي يحتـــــال
أودعـــــتُ زوجـــــي القبـــــر مـــــن زمـــــن مضـــــى
والمـــــوتُ وحـــــش كاســـــر يغتـــــال
وحملـــــتُ ابنـــــي حيـــــث والـــــده ثـــــوى
وهنـــــاك تعـــــرف بعضـــــها الأوصـــــال
زوجـــــي العزيـــــزَ دعـــــوتَ ابنـــــك طائعًـــــا
فأجـــــاب يســـــبقه لـــــك الإجـــــلال

[٥٢] الفاخريات ١/ ٢٤٥.

ثالثا ـ استدعاء التراث:

يمكن أن نفسر (النص الغائب) الذي يقف خلف النص الشعري الحديث على أنه إحياء خبرة تراثية منفعلة بالحياة، من خلال جدلية يتبين من خلالها مدي تطور الخلفية الثقافية ورحابتها، ومدي محاولة النص الجديد إثبات ذاته من خلال الدخول في صراع مع النصوص العريقة التي أسهمت في تشكيله، لأن المقصود بالتناص:((ليس هو أن النصوص إنما تمثل إعادات لبعضها بعضا، بل المقصود أن النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها)) [٥٣]

ومن ثم فالنص الغائب الذي يقف وراء كثير من نصوص الشعر الحديث ـ ليس مشروطا بزمن بعينه، فقد يكون تراثيا، وقد يكون معاصرا، وقد يكون ذاتيا، لأن من البنيويين من صرح بالمعاصرة في تعريف التناص، على النحو الذي يبدو في قول جوليا كريستيفا:((نعرف النص بأنه جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعا الحديث التواصلي، ونقصد المعلومات المباشرة، في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة)) [٥٤]

يعترف صاحب الفاخريات بأن حبه ابن زيدون قد ألجأه إلى معارضته في أكثر من موطن، ولكن التراث في شعر الفاخريات لم يقف عند معارضة ابن زيدون أو أبي العلاء المعري أو حافظ إبراهيم، وإنما تعداها إلى لمحات فنية يمكن أن ترتقى إلى ما سماه النقد الحديث باستدعاء التراث سواء أكان هذا التراث حادثة أم شخصية، أم مكانا، فعندما فتح الجيش الأردني نيران مدافعه على الفلسطينيين، فقتل منهم الكثير في أول اكتوبر ١٩٧٠م يستدعي الشاعر أحداث كربلاء، ويعبئ القصيدة التي سماها (كربلاء الثانية) [٥٥] بأسماء كربلاء وصفين وقطز وصلاح،، حيث جاء في مطلعها:(من البسيط):

المجـــدُ ضـــاع سُـــدًى يـــا أمـــة العـــربِ
والفـــتحُ ولـــى هبـــا يـــا دولـــة الغَلَـــبِ

---

[٥٣] نظرية النقد الأدبي الحديث د يوسف نور عوض، دار الأمين الأولي ١٩٩٤، صـ١٠٢.
[٥٤] آفاق التناصية . ترجمة . محمد خير البقاعي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ صـ٣٧.
[٥٥] الفاخريات ٤٦/١

... آهٍ علـــــى أمـــــة بـــــالأمس قـــــد صـــــعدتْ
لِـــــمُرتَقى الشـــــمس والأفـــــلاك والشـــــهُبِ
العلـــــم والعـــــدل يزهـــــو فـــــي جوانبهـــــا
مـــــع الحضـــــارة والتمـــــدين والـــــذهب
هـــــذي الفتـــــوح بعهـــــد الراشـــــدين وذا
عهـــــدُ الرشـــــيد ينـــــادي النـــــاس بالعجـــــب
وذا (صـــــلاحٌ) ومـــــا أبلـــــى وذا (قُطُـــــزٌ)
ســـــاقوا الـــــذئاب مـــــن التاتـــــار والصـــــلب
إنَّ الملـــــوك ملـــــوكَ العُـــــرْب مـــــن قـــــدمٍ
شـــــادوا وســـــادوا وجـــــابوا أبعـــــد السُّـــــحُبِ
واليـــــوم- يـــــا قلـــــبُ لا تيـــــأس- قـــــد انقلبـــــوا
طوعـــــا لأعـــــدائهم -رأسًـــــا علـــــى عقـــــب

وفي صيف عام ١٩٧١م يزور الشاعر مدينة السويس فيجد بيوتها مهدمة، ومدارسها خربة، ومآذنها مكسرة، وشوارعها مقفرة؛ فيكتب تحت عنوان (قرطبة الأخرى) قائلا [٥٦]: من الطويل):

أكعبـــــةَ مصـــــر يـــــا سُـــــويسُ تحيـــــةً
أيـــــا منـــــزلًا قفـــــرًا ســـــقتكِ الغمـــــائمُ
عليـــــكِ ينـــــوحُ المســـــلمون كمـــــا مضـــــى
بقرطبـــــةَ الغـــــراءِ والـــــدهر ظالـــــمُ
رمتـــــكِ ذئـــــابُ كاســـــرون توحشـــــوا
فمـــــا بيـــــنهم للنـــــاس والخلـــــقِ راحـــــمُ

كما ضمن الشاعر أبياته عددا من الأمثال والأبيات الشعرية من مثل قوله (هذا أوان الشد فاشتدي زيم)، وقوله (يَا ناقُ سيري) اللذين وردا في قصيدته إلى أهل الجزيرة العربية (لقاء

---

[٥٦] الفاخريات ١/ ٥٢

ووداع) [٥٧] عندما انتهت مدة إعارته في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكلية اللغة العربية، بعد خمس سنوات قضاها في الرياض وجاء في هذه القصيدة (من بحر الكامل):

(هـــــذا أوانُ الشَّـــــدِّ فاشـــــتدِّي زيَـــــمْ
فـــــالجمعُ خيـــــرٌ والرّفـــــاقُ ذَوُو كَـــــرَمْ
يـــــا نـــــاقُ سِـــــيري أنـــــتِ ذاهِبَـــــةٌ إلـــــى
أهـــــلِ المكـــــارم والفضـــــائلِ والشِّـــــيَمْ
أهـــــلِ البلاغـــــةِ والنَّباهـــــةِ والنُّهَـــــى
والشِّـــــعْر والفُصْـــــحى وأربـــــاب القَلَـــــمْ
بلســـــانهم نَـــــزلَ الهُـــــدى وبأرضـــــهم
بعـــــث عـــــاش الرســـــولُ إلـــــى الخلائـــــق والأُمَـــــمْ
الناسِـــــكُونَ المُعْظِمُـــــونَ شـــــعائرًا
أهـــــلُ التُّقَـــــى أهـــــلُ الدِّيانـــــةِ والحَـــــرَمْ

والشطر الأول من رجز لرشيد بن رميض الْعَنزي، قاله في شُرَيْح بن ضبيعة، وقد ضمنه الحجاج ابن يوسف خطبته في أهل العراق لما وليها في عهد عبد الملك بن مروان. [٥٨]

---

[٥٧] الفاخريات ١/ ١٢٥

[٥٨] كَانَ شُرَيْح بن ضبيعة قد غزا الْيمن فِي جموع جمعهَا من ربيعَة، فغنم وسبى بعد حَرْب كَانَت بَينه وَبَين كِنْدَة، أسر فِيهَا فرغان بن مهْدي بن معدي كرب، وَأخذ على طَرِيق مفازة، فضل بهم دليلهم ثمَّ هرب مِنْهُم، وَمَات فرغان فِي أَيْديهم عطشاً، وَهلك مِنْهُم نَاس كثير بالعطش، وَجعل شُرَيْح يَسُوق بِأَصْحَابِهِ سوقاً حثيثاً حَتَّى نَجوا ووردوا المَاء فَقَالَ فِيهِ رشيد بن رميض الْعَنزي .

ـــذَا أَوَان الشـــد فاشـــتدي زيـــم ـد لفهـــا اللَّيْـــل بســـواق حطـــم
ـــيْسَ براعـــي إبـــل وَلَا غـــنم بجـــزار علـــى لحـــم وَضـــم
ـــات يقاســـيها غُـــلَام كـــالزلم ـــدلج الشـــاقين خفـــاق الْقـــدَم

. فلقب شُرَيْح يَوْمئِذٍ بالحطم لقَوْل رشيد فِيهِ هَذَا الرجز. الوافي بالوفيات .صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى .دار إحياء التراث –بيروت ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م (١٦/ ٨٤)

ومطلع الشطرة الثالثة فيه نظر إلى قول أبي النجم العجلي في سليمان بن عبد الملك:

يَـــــا نـــــاقُ ســـــيري عَنَقـــــاً فَســـــيحاَ

إِلَـــــــــــى سُـــــــــــليْمانَ فَتَسْـــــــــــتَرِيحا

وهو شاهد نحوي معروف .

كما يستدعي الشاعر روح أبي العلاء المعري، حين يضمن بعض أبيات أبي العلاء وهو يفتخر بنفسه في قصيدته (الموت في طلب الخلود، أو إلى الأفق الأعلى أمد بصيرتي)، حيث يقول (من الطويل): [٥٩]

يقـــــول رجـــــال فـــــاخر ومفـــــاخر

كثيـــــرُ كـــــلام فـــــى المحافـــــل قائـــــل

بلـــــى وإلـــــه العـــــرش إنـــــى لقـــــادرٌ

قـــــوي ومـــــنهم عـــــاجزون أســـــافل

وأغضـــــى عيونـــــا عـــــن قبـــــيح كلامهـــــم

ويمنعنـــــى مِـــــنْ أخـــــذ ثـــــأر فضـــــائل

وبـــــين ضـــــلوعى أمنيـــــاتٌ بعيـــــدةٌ

وإنـــــى لمـــــا أملـــــت منهـــــا لواصـــــل

ســـــأربُو علـــــى مـــــن قـــــال يومـــــا مفـــــاخرا

وإن كـــــان عـــــينَ الصـــــدق مـــــا هـــــو قائـــــل

وإنـــــى وإن كنـــــتُ الأخيـــــرَ زمانُـــــهُ

لآت بمـــــا لـــــم تســـــتطعه الأوائـــــل

---

[٥٩] الفاخريات ٢/٢٣٢.

رابعا . الظرف والطرافة:

يبدو أن الظرف في اللغة غالبا ما كان يعنى به ذكاء القلب وحسن العبارة [٦٠]، على النحو الذي يبدو من قول ابن منظور :((الظَّرف: البَراعةُ وَذَكَاءُ الْقَلْبِ ... وَقِيلَ: الظَّرْفُ حسنُ العِبارة، وَقِيلَ: حُسْنُ الْهَيْئَةِ، وَقِيلَ: الحِذْقُ بِالشَّيْءِ، وَقَدْ ظَرُفَ ظَرْفاً وَيَجُوزُ فِي الشِّعْرِ ظَرَافَة، والظَّرْفُ: مَصْدَرُ الظَّرِيف، وَقَدْ ظَرُف يَظْرُف، وَهُمُ الظُّرَفاء، وَرَجُلٌ ظَرِيفٌ مِنْ قَوْمٍ ظِرَاف وظُرُوف وظُرَاف، عَلَى التَّخْفِيفِ مِنْ قَوْمٍ ظُرَفَاء ...وَتَقُولُ: فِتْية ظُرُوف أَي ظُرَفاء، وَهَذَا فِي الشعْر يَحسن، والظريف البليغ الْجيد الْكَلَام.)) [٦١]

وتأكيدا على هذا المعنى اللغوي تواترت الأخبار على أن محل الظَّرف القلب واللسان، يقول الوشاء:((وأخبرني أحمد بن عبيد قال: قال الأصمعي وابن الأعرابي: لا يكون الظرف إلا في اللسان، يقال: فلان ظريف، أي هو بليغ، جيد المنطق، ومنه حديث عمر بن الخطاب، رضي

---

(٦٠) هناك معنى آخر للظرف ينحو نحو الفضيلة والتزام العفة والنزاهة، ولا يتنافى هذا المعنى ورسالة الشاعر القائمة على المتعة والتهذيب، وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى شعرا فقال أبو عبد الله الواسطي .

ـيس الظرِيـــفُ بكامـــل فـــي ظَرفِـــه ـــى يكـــونَ عـــن الحـــرامِ عفيفـــا

ـــإذا تعفَّـــفَ عـــن محـــارم رَبّـــهِ ـــاك يُـــدْعَى فـــي الأنـــامِ ظَرِيفـــا

يقول الوشاء . "اعلم أن عماد الظرف، عند الظرفاء وأهل المعرفة والأدباء، حفظ الجوار، والوفاء بالذمار، والأنفة من العار، وطلب السلامة من الأوزار، ولن يكون الظريف ظريفاً، حتى تجتمع فيه خصال أربع . الفصاحة، والبلاغة، والعفة، والنزاهة. وسألت بعض الظرفاء عن الظرف فقال . التودد إلى الإخوان، وكف الأذى عن الجيران.وقال آخر . الظرف ظلف النفس، وسخاء الكف، وعفة الفرج... وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف، فقالت . من كان فصيحاً عفيفاً كان عندنا متكاملاً ظريفاً، ومن كان غنياً عاهراً كان ناقصاً فاجراً. الموشى محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (٣٢٥هـ) تحقيق . كمال مصطفى . مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر – مطبعة الاعتماد . الثانية، ١٣٧١ هـ – ١٩٥٣ م١ /٢٤٤

(٦١) لسان العرب (ظرف)٩ / ٢٢٨، وكتاب العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ ١٧٥هـ ـ دار ومكتبة الهلال، تحقيق . د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي ٨ / ١٥٧، وتهذيب اللغة ـ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) تحقيق . محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي – بيروت . الأولى، ٢٠٠١م ١٤/ ٢٦٨

الله عنه: إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع، أي لأنه يكون له لسان فيحتج به، فيدفع عن نفسه، قال: وروي عن محمد بن سيرين أنه قال: الظرف مشتق من الفطنة... وقال بعض المشيخة: الظريف الذي قد تأدب، وأخذ من كل العلوم، فصار وعاءً لها، فهو ظرف)).[٦٢]

ومعنى ذلك أن الظرف ذكاء في القلب وسرعة في البديهة، يظهرها اللسان من خلال موروث ثقافي جيد ومتنوع بكثير من العلوم والمعارف والثقافات، بما أنه مشتق من الظرف وهو الوعاء، وبما أن الظريف قد أخذ من كل العلوم فصار وعاء لها أو ظرفا كما قال الوشاء .

وتحقيقا لرسالة الشاعر المتمثلة في المتعة والتهذيب، اعترف الشعراء أنفسهم بقيمة الظرف في تحقيق البهجة، وركوب الشاعر الهزل رغما عنه، من أجل تحقيق هذه الرغبة، على النحو الذي يبدو في قول أبي فراس الحمداني: من الرجز [٦٣]

أروِّح الْقلـــــب بِـــــبَعْض الْهـــــزْل تجـــاهلا منـــي بِغَيْـــر جهـــل

أمـــزح فِيـــهِ مـــزح أهـــل الْفضـــل والمـــزح أَحْيَانًـــا جـــلاء الْعقـــل

كما اعترف بعضهم أيضا بتتبع الظرفاء طلبا لنوادرهم، كي يدخلوا بروايتها السرور على من يحبون، وكأن شعرهم وحده لم يكن كافيا لفعل ذلك، على النحو الذي يبدو في قول أبي نواس لما دخل على يحيى بن خالد فقال له: يا أبا علي؛ أنشدني بعض ما قلت؛ فأنشده:[٦٤] (الكامل)

([٦٢]) الموشى ١ / ٢٤٤

([٦٣]) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي . دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ١٤٠٣هـ، الطبعة . الأولى، تحقيق . د. مفيد محمد قمحية ١١٢/١، أخبار الحمقى والمغفلين جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) . دار الفكر اللبناني . الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م صـ ١٩، و ثمرات الأوراق في المحاضرات (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي) . ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (٨٣٧هـ) . مكتبة الجمهورية العربية، مصر ١٦٠/١.

([٦٤]) تاريخ دمشق . أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) تحقيق عمرو بن غرامة العمروي . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ١٣/ ٤٤٣ والعقد الفريد . أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) . دار الكتب العلمية – بيروت . الأولى، ١٤٠٤ هـ ٢/ ٧٨، والبيان والتبيين . عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٥٥هـ) . دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ ١/ ٥٩٤ .

كم من حديثٍ معجب لي عندكا لو قد نبذت به إليك لسرّكا
إني أنا الرجل الحكيم بطبعه ويزيد في علمي حكاية من حكى
أتتبَّعُ الظرفاءَ أكتب عنهمُ كيما أحدِّث من أحبُّ فيضحكا

ومن الواضح هنا أن صاحب الفاخريات يمتلك حسا فكاهيا لا يتعمده ولكن يظهر بين ثنايا قصائده، مبرهنا على أنه فطرة فطر الله الشاعر عليها، فمن يقول إنه كتب يعتذر عن قبلة بتبرير طريف، هو أنه عندما شاهد النار تضطرم في الخدود حاول إطفاءها بهذه القبلة، حيث يقول في قصيدة أنا آسف بنت الكرام[٦٥]:

هي قبلة نيلتْ على
شوق نما وعلى هيام
قد أطفأتْ نارا تجو
لُ وأوقفت لهبَ الضرام
لكنها إثم لمثـ
ـلي حيث إني في العظام
فترفقي في الصّدّ أخـ
ـتُ وخففي من ذا الملام
هذا الجمالُ الـتِّمُ فيـ
ـك أصابني ورمى مرامي
ولدىَّ عشق للجما
ل على مرور العمر نامي
عينان كحلاوان يا
سبحانَ خالقِ ذي السهام

[٦٥] الفاخريات ٨٦/٢

ويـــــــــــدان يشـــــــــــرب منهمـــــــــــا
حيـــــــــــرانُ بالبيـــــــــــداء ظـــــــــــامي
ضـــــــــــاق الســـــــــــوارُ عليهمـــــــــــا
فشـــــــــكى وبـــــــــاتَ بـــــــــلا احتشـــــــــام
بـــــــــاللهِ مـــــــــن أهـــــــــداك هـــــــــذا الصـــــــــوتَ يـــــــــا صـــــــــوتَ البغـــــــــام
إن قيـــــــــل موســـــــــيقي فمـــــــــنْ
يضـــــــــمنْ لنـــــــــا فعـــــــــلَ الـــــــــمُدام
والقـــــــــدُّ ممشـــــــــوق يكـــــــــا
د يميتنـــــــــي عنـــــــــد القيـــــــــام
والوجـــــــــهُ حجـــــــــة منكـــــــــر
لله فـــــــــي حســـــــــن النظـــــــــام
هـــــــــو ســـــــــاحر هـــــــــو آســـــــــر
قلبـــــــــي بلقيـــــــــا وابتســـــــــام
أنـــــــــا حائـــــــــرٌ فـــــــــي خـــــــــدِّه
يـــــــا أختُ طـــــــولَ اليـــــــوم دامـــــــي
أنـــــــا بـــــــي حمـــــــاس فأذنـــــــى
أنقـــــــذْك مـــــــن هـــــــذا الســـــــقامِ
أبصـــــــرت نارهمـــــــا فخفـــــــت عليـــــــك مـــــــن هـــــــذا الضـــــــرام
فوثبـــــــتُ فـــــــوقَ النـــــــار أطـــــــفئهـــــــا بثـــــــأر وانتقـــــــام

فغضـــــــــــبتِ منـــــــــــي أن عـــــــــــدو
ت وأن علـــــــــــوتُ بـــــــــــلا احتـــــــــــرام
إنـــــــــــي مقـــــــــــرٌّ بالـــــــــــذنو
بِ فقـــــــــــدمي عفـــــــــــوَ الكـــــــــــرام

ومن يقول إنه ذهب يصلح بين صديقه وحبيبته، فبالغ في وصف حبيبة الصديق حتى تغزل فيها، حيث يقول مخاطبا صديقه في قصيدة (الحب في الناس الحياة) [٦٦]:

أَعَمِيـــــــــتَ عـــــــــن خـــــــــد أسيـــــــــ
ـــــــــيل ثـــــــــم وجـــــــــه كالبـــــــــدور
أعميـــــــــتَ عـــــــــن عـــــــــين الجـــــــــا
ذر ثـــــــــم ثَغْـــــــــرٍ كالعبـــــــــير
أعميـــــــــتَ عـــــــــن قَـــــــــدِّ طويـــــــــ
ـــــــــل ثـــــــــم شـــــــــعرٍ كـــــــــالحرير
أعمـــــــــتَ عـــــــــن خصـــــــــرٍ دقيـــــــــ
ـــــــــق ثـــــــــم ردفٍ كالقصـــــــــور
أعميـــــــــتَ عـــــــــن كـــــــــف بهـــــــــا
عـــــــــينٌ مـــــــــن المـــــــــاء النميـــــــــر
إن كـــــــــان ذاكَ فكيـــــــــفَ لـــــــــم
تســـــــــمعْ لتغريـــــــــد الطيـــــــــور
فـــــــــي صـــــــــوتها العـــــــــذبِ الرخيـــــــــ
ـــــــــم أمـــــــــا ســـــــــمعت عـــــــــن الخمـــــــــور

---

[٦٦] الفاخريات ٢ / ١٨٠

وتكـــــــــــاد مشـــــــــــيتُها كمـــــــــــا

فـــــــــي جنـــــــــده يمشـــــــــي الأميـــــــــر

أعميـــــــــت عـــــــــن هـــــــــذا الجمـــــــــا

ل فكيـــــــــف تـــــــــدعى بالبصيـــــــــر

ومن يقول إنه أبدى مفاتن محبوبته لمجرد أن صاحبه قد صرح أمامه بأنها ليست على قدر من الجمال، كما كان يظن، حيث يبدأ قصيدته: (قال لي صاحبي أي جمال فيها) بقوله:[٦٧]

يقـــــول عذولـــــي فيـــــك ليســـــت جميلـــــة

ولـــــيس بهـــــا حســـــن ولـــــيس بهـــــا ســـــحر

ثم يختمها بقوله:

عميـــــتَ عـــــن الوجـــــهِ المنيـــــرِ وحســـــنِه ؟

عميـــــتَ عـــــن العـــــينِ التـــــي عمقُهـــــا بحـــــر ؟

عميـــــتَ عـــــن التـــــاج الـــــذي فـــــوق رأســـــها ؟

عمبـــــتَ عـــــن الثغـــــرِ الـــــذي كلـــــه نشـــــر؟

عميـــــتَ عـــــن الأيـــــدِ التـــــي فـــــاض ماؤهـــــا ؟

عميـــــتَ عـــــن الصـــــوت المقلِّـــــدِهِ الطيـــــر؟

عميـــــت عـــــن الصـــــدرِ الرحيـــــبِ ونحـــــرِه ؟

عميـــــتَ عـــــن القـــــدّ الـــــذي لفَّـــــهُ خصْـــــرُ؟

عميـــــتَ عـــــن الأخـــــلاقِ والـــــدينِ والحيـــــا؟

عميـــــت عـــــن الثـــــوبِ الـــــذي كلُّـــــه طهـــــرُ؟

ومن يصدق أن ينقلب الوفاء الذي مبعثه حسن الظن بالناس ثورة وسخطا، عندما يقابل الإحسان بغير الإحسان فيكتب الدكتور فاخر قصيدة يفضل فيها وحش الفلاة على

---

[٦٧] الفاخريات ٢/ ٥١ – ٥٤ .

صديقه، لأنه عندما نزل عليه في قريته، وجده بخيلا أشد البخل، حيث يقول في قصيدة إلى بخيل[٦٨]:

أنـــــا مـــــا حســـــبتُك ممســـــكا وبخـــــيلا
لكـــــن علمتُـــــك مـــــا جـــــدا ونبـــــيلا
قـــــد خـــــابَ ظنـــــي والظنُـــــون إلـــــى الـــــردى
والجهـــــــلُ يقتـــــــل طيبـــــــا وأصـــــــيلا
قـــــد شدَّنـــــي للحـــــب وجـــــهٌ ناضـــــرٌ
وعبيـــــــرُ ثغـــــــرٍ يطلـــــــبُ التقبـــــــيلا
والوجـــــهُ فـــــي كـــــرم الرجـــــال علامـــــةٌ
والوجـــــهُ فـــــي لـــــؤم يكـــــون دلـــــيلا
ورأيـــــت فيـــــك الفضـــــلَ يشـــــرقُ والعـــــلا
فوجـــــدتُ فيـــــك الصـــــاحبَ المـــــأمولا
وحلَمْـــــتُ عمـــــري أن أزورَك مـــــرة
ليكـــــون حبـــــي صـــــادقا وجلـــــيلا
فأتيـــــتُ أحتمـــــل الطريـــــق مشـــــقةً
لـــــولا هـــــواك لمـــــا اســـــتطعت حمـــــولا
والمـــــرء مـــــن أجـــــل الهـــــوى لا يعـــــرف
الأثقـــــــال والأهـــــــوال والتضـــــــليلا
حتـــــى أتيتـــــك نـــــازلا فـــــي أهلـــــه
وبعيـــــدَ قـــــوم عـــــاد غـــــاب طـــــويلا

---

[٦٨] الفاخريات ٢ / ٢٠٠

وحملـــــــتُ أخبـــــــارا تســـــــرُّ صـــــــحيحةً

لـــــــولا الهـــــوى مـــــا قلـــــت منهـــــا قـــــيلا

فـــــي ليلـــــة لـــــيلاء كـــــان ظلامُهـــــا

أو بردهـــــا والجـــــوعُ كـــــان مهـــــولا

فـــــي دارك الأمـــــنُ الكبيـــــرُ فـــــلا أخـــــف

إنـــــي قصـــــدت الفاضـــــلَ المســـــئولا [٦٩]

أنـــــت الكـــــريم-كمـــــا حســـــبت-فـــــلا أهـــــب

إن لـــــم أكـــــن لـــــك صـــــاحبا ورســـــولا

أنـــــا مـــــا أتيتـــــك ســـــائلا أو راجيـــــا

نعمـــــاك فـــــاعلم كـــــي أكـــــونَ ثقـــــيلا

أنـــــت الـــــذي كلفتنـــــي بمهمـــــة

فأتيـــــتُ أُنْجِـــــزُ وافيـــــا ووكـــــيلا

لـــــولا الوفـــــاءُ بمـــــا وعـــــدتك ســـــيدي

والحـــــرُّ مـــــن أوفـــــى وكـــــان أصـــــيلا

أنـــــتَ الغَنِـــــيُّ كمـــــا أرى لكنمـــــا

كنـــــت اللئـــــيمَ أخـــــا وكنـــــت بخـــــيلا

فتركتنـــــي نهـــــب الوحـــــوش مـــــن الطـــــوى

والبـــــردِ والليـــــلِ العظـــــيمِ قتـــــيلا

والقصيدة تسيل لوعة بسبب الصدمة التي حدثت للشاعر بسبب بخل صديقه، لكنها في الوقت ذاته تعكس سرعة انفعال الشاعر وسرعة غضبه .

---

[٦٩] فلا أخف . نهى المتكلم نفسه وهو قليل ولذلك جزم الفعل.

وهناك دعابة لطيفة وثقها الشاعر في فاخرياته، وسببها أن لقاء جمعه بالدكتور السيد شحاته والدكتور إبراهيم الإسناوي والدكتور محمد المحرصاوي وكان الدكتور السيد قد تطوع كل يوم بأن يحمله في سيارته إلى محطة قطار المنصورة فقال في هذا اللقاء مخاطبا الدكتور السيد شحاته، وهي القطعة الوحيدة له على بحر المجتث: (٧٠)

يـــــا ســـــيدي وحبيبـــــي وصـــــــاحبي وقريبـــــــي
خـــــذني صـــــديقَ زمـــــانٍ خذنـــــي أخـــــا للخطـــــوب
ظلِّـــــلْ علـــــىّ بفضـــــل وطـــــولِ جســـــم عجيـــــبِ
وفضـــــلِ ظهـــــر قـــــوى ســـــــيارةٍ للركـــــــوبِ
أيقـــــظ فـــــؤادَك واحـــــذرْ صـــــدامَ طفـــــلٍ نجيـــــب
فنـــــدخَل السجـــــنَ يومـــــا نأســـــى ولا مـــــن مجيـــــب
يزورنـــــــا (الإســـــــناوي) ببعـــــضِ حلـــــوى وطيـــــب
ويعـــــــرفُ (المحرصـــــــاوي) صـــــديقُنا فـــــي الخطـــــوب
يـــــأتي يَفُـــــك الأســـــارى يـــــأتي لكشـــــف الكـــــروب

خامسا . النزعة الإنسانية:

تعني الإنسانية الاهتمام بالإنسان، وقضاياه، وحقوقه (٧١) فهي تهتم بإبراز الجانب المظلم والمضيء في حياة البشر، فليست الحياة جهمة كلها، وإنما تتضمن إلى جانب العتامة صورًا من الإشراق، ونفس الشاعر التي تتسع لاستيعاب كل أشكال الحياة ينبغي أن تهزها الأشكال المشرقة، كما تستوقفها الصور الجهمة (٧٢)

---

(٧٠) الفاخريات ١/ ١٦٠.

(٧١) ينظر: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، د/ محمد مفيد قميحه منشورات دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٠ه / ١٩٨٠م، ص ٢٥.

(٧٢) ينظر:الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، الخامسة، ١٩٩٤م، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

وتعني في الأدب: صدق التعبير عن الإنسان في مختلف حالاته من سرور وغضب، وهدوء وصخب وصحة ومرض وغير ذلك من النزعات، والرغبات التي تصطرع في كيانه، فيعبر عنها أصدق تعبير وأتمه، غير مشوب بالتصنع، وغير مضطر إلى الزيغ والتزييف في ذات ضميره))[٧٣]

وفي ديوان الفاخريات إعلاء لقيمة الوفاء للقادة والأصدقاء والزملاء، وعلى الصعيد الإنساني حتى نجد وفاء لمن ماتوا على سطح القمر، في قصيدة إلى روح الأبطال الثلاثة رواد الفضاء الروس[٧٤] في أغسطس عام ١٩٧١ أرسلت روسيا سفينة في الجو وعليها ثلاثة من رواد الفضاء وعلمائه وزودتهم بما يلزم حياتهم من ماء وغذاء ودواء وهواء وتابعتهم على الأرض في اكتشافاتهم وتنقلاتهم، وبعد شهر من سفرهم اكتشف العلماء والناس موتهم وهم على ظهر سفينة الفضاء، وحزنت روسيا والعالم كله عليهم وحزنت معهم فكانت هذه القصيدة: (من الكامل):

في المجد والعلياء لا يغلو الدم
ويهونُ في طلب العلا ما يعظم
لا تبخلنَّ بما اعتززت على الملا
والحق الحتوفَ وأنت منها تبسم
واعلم بأن الموتَ كأس للفتى
قدَرٌ وأمرُ واقع ... ومحتم
آلى على الأبطال نجم آفل
ليحطمَنَّ حياتهم مهما سَمُوا
قصدوا السماء فلمْ يعقْهم عائق
عرجوا إليها لم يخنهم سلم
واستطلعوا فتحققوا، واستكشفوا
فتعرفوا، واستعلموا فتعلموا

---

[٧٣] النزعة الإنسانية في شعر العقاد، د/ عبد الحي دياب، دار النهضة العربية، الأولى، ١٩٦٩م، صـ ١.
[٧٤] الفاخريات ١/٢٤٢.

خبـــــــروا البســـــــيطة ظهرهـــــــا وبطونهـــــــا
لـــــــم يخـــــــف أو يلـــــــبسْ علـــــــيهم مـــــــبهم
واســـــــتبطنوا ســـــــر الفضـــــــاء ومـــــــا حـــــــوى
ممـــــــا فهمـــــــت وغيـــــــرِ مـــــــالا أفهـــــــم
شـــــــهرا قَضَـــــــوْا والله يعلـــــــمُ أمـــــــرهم
فـــــــي مـــــــوتهم فـــــــي عيشـــــــهم يـــــــتحكم
والمجـــــــد يعلـــــــقُ بـــــــالفتى فيصيبـــــــه
أشَـــــــرُ ومـــــــا يـــــــدري بأنـــــــه مأتـــــــم

وكان ينتظر منه عندما تعرض لحادث سرقة أن يسخط ويهجو، ولكنه كتب قصيدة تسيل وفاء لمصر وما قدمت له، حيث يقول: تعرضت لحادث سرقة وأنا مسافر فتعجبت وكتبت (من المتقارب):[٧٥]

أتنتظـــــــرين العقـــــــوقَ مـــــــن ابـــــــن
عظـــــــيمِ الهـــــــوى مـــــــرة يغضـــــــب
وتنتظـــــــرين هجـــــــا شـــــــاعر
يقـــــــول لـــــــه الـــــــدهر مـــــــا يكتـــــــب
أســـــــأت إليـــــــه ألـــــــم تحســـــــني
بلـــــــى حســـــــناتك لا تغـــــــرب
أياديـــــــكِ كـــــــم طوقتْـــــــه كثيـــــــرا
فتلـــــــكَ الإســـــــاءة لا تُحســـــــب
أألعـــــــن أيامَـــــــك الفاضـــــــلاتِ
ليـــــــوم بهـــــــا شـــــــابَ أو أشـــــــيب
وأكـــــــرهُ مـــــــاءَ وزهـــــــرَ الريـــــــاض
لأن بـــــــه عقربـــــــا تلسُـــــــب

[٧٥] الفاخريات ٢/٢٦٥ .

وأبغـــــــض زهـــــــر الريـــــــاض الجميـــــــلِ
لأن بـــــــــــه شـــــــــــوكةً تصـــــــــــحب
وألفـــــــظ مـــــــاء لنيـــــــل عظيـــــــم
لأن بـــــــــــه حيـــــــــــة تشـــــــــــرب
فـــــــــأين المســـــــــاجدُ والســـــــــابقون
إليهـــــــا إلـــــــى الله لـــــــم يـــــــذنبوا
وأيـــــــــن الحقـــــــــولُ وأصحابهـــــــــا
ومصـــــــــر جميـــــــعَ الـــــــورى تُعْجِـــــــبُ

وفي الفاخريات إعلاء لقيمة الوفاء للأصدقاء والزملاء، حتى إن الشاعر ليقول:((ولم أحرم نفسي من حب لأستاذ أو تقدير لزميل وإنما جاشت نفسي وفاض شعوري ببيتين أو ثلاثة أقولها لهذا الأستاذ أو ذاك الزميل في لقاءات مختلفة ومناسبات جميلة وقد بلغ عدد هؤلاء الأساتذة والزملاء أربعين، أسردهم واحدًا بعد الآخر ومع كل واحد ما قلته فيه))[٧٦]

ومما قال في ذلك قصيدته في وداع معهد فتيات طنطا الثانوي الذي كان يعمل فيه ثم انتقل بعد ذلك للعمل في مكان آخر (من الخفيف): [٧٧]

---

[٧٦] الفاخريات ١/ ١٥٢.

[٧٧] الفاخريات ٢/ ١٧٢، وقد طلبت إدارة المعهد من الشاعر نشيدًا للفتيات يعبر عن إحساسهن ويترجم شعورهن فكتب على . (مجزوء الوافر) . الفاخريات ٢/ ٢٣٦

إلـــــــه الكـــــــون تهدينـــــــا وربَّ النـــــــاس تُنْجينـــــــا
دعـــــــوت لـــــــنفهم الـــــــدينا فجئنـــــــاكَ ملبينـــــــا
وقلنا الله يحمينا
نقـــــــوم مبكـــــــرا نركـــــــعْ وفـــــــي طلـــــــب العـــــــلا نهـــــــرعْ
وحـــــــين دروســـــــنا نخشـــــــعْ فننهـــــــلُ صافـــــــيَ المنبـــــــعْ
من العلم أفانينا
فمـــــــن تفســـــــير قـــــــرآن إلـــــــى شـــــــعر لحســـــــان
ومـــــــن تـــــــاريخ ســـــــلطان إلـــــــى علـــــــم لأكـــــــوان
بفيض الخير يأتينا

أيُّهـــــــا المعهـــــــدُ العريـــــــقُ وداعـــــــا
فالغريـــــــب الحـــــــزين شـــــــد المتاعـــــــا

وفيها يقول مخاطبا المعهد ورواده:

اذكرونـــــــا بـــــــالخير يـــــــا أوفيـــــــاء
فهـــــــواكم تخلَّـــــــلَ الأضلاعـــــــا
اذكرونـــــــا فـــــــنحن وافـــــــونَ بـــــــاقو
ن علـــــى الحـــــب لـــــن نضـــــيق ذراعـــــا
قـــــد عهـــــدنا فـــــيكم وفـــــاءً وحبـــــا
فلتكونـــــوا كمـــــا عهـــــدنا اضطلاعـــــا

ومن القوافي الرائعة التي سجلها شاعرنا في الوفاء .ما كتبه إلى روح قارئ مصر الأول الشيخ مصطفى إسماعيل ١٩٧٨م الذي ولد في قرية الشاعر (ميت غزال –محافظة الغربية) وقد أنشدها الشاعر في سرادق عزاء، أقيم لتأبين الشيخ، وحضره كثير من قراء مصر منهم: الشيخ محمود خليل الحصري، والشيخ محمود علي البنا، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد، والدكتورأحمد نعينع وغيرهم .

وتأتي جودة القصيدة من اختيار الوافر التام، واعتماد التاء المتبوعة بهاء السكت رويا، والسكت يلائم وقفات الشيخ مصطفى، ويلائم الأنة التي كانت تترنح في حلق الشاعر، كما أعطت هذه الهاء مساحة لإعادة الضمير إلى القرآن الكريم في كثير من المواضع، وكذلك كثير من الصفات التي كان يمتلكها الشيخ، وفيها يقول الشاعر: (من بحر الوافر): [٧٨]

عظـــــــيمُ المجـــــــدِ بـــــــالقرآن نِلْتَـــــــهْ
وخلـــــــدٌ بالكتـــــــاب الحـــــــق حُزْتَـــــــهْ

[٧٨] الفاخريات ١/٢١٨.

وصـــــــيتٌ ذاع فـــــــي شـــــــرق وغـــــــرب

وذكـــــــــرٌ آخـــــــــرَ الـــــــــدنيا بلغتـــــــــه

وفضـــــــلٌ قـــــــد أقـــــــر بـــــــه حســـــــود

وجـــــــاهٌ لـــــــم ينـــــــل أحـــــــدٌ علوتـــــــه

ودنيـــــــا قـــــــدْ أتتـــــــك وعـــــــيشُ عـــــــز

ومـــــــالُ – يـــــــا غنيـــــــا – قـــــــد جمعتـــــــه

وتقـــــــــــديرٌ وتبجيـــــــــــلٌ كبيـــــــــــر

وحـــــــب فـــــــي قلـــــــوب النـــــــاس صغتـــــــه

فمـــــــــا أحـــــــــدًا أرى وأمـــــــــرُّ إلا

ويوصـــــــيني عليـــــــك الشـــــــيخَ صـــــــوته

كأنـــــــك نـــــــازل فـــــــي كـــــــل بيـــــــت

علـــــــى حـــــــب وفضـــــــلٍ مـــــــا نقصـــــــته

وإن شـــــــئتَ الحقيقـــــــة مـــــــن خبيـــــــر

تُقـــــــالُ فكـــــــلُّ قلـــــــب قـــــــد نزلتـــــــه

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة العجلى في الوقوف مع ديوان الفاخريات للدكتور علي محمد فاخر . تبين أن في الفاخريات سمات شعرية تستحق الدراسة ، كشاعرية العنوان ، والحديث على لسان الشخوص(القناع)، واستدعاء التراث، والظرف والطرافة، والنزعة الإنسانية، كما أن فيها سمات أسلوبية في حاجة الى دراسات أخرى ، حيث يتعمد صاحب الفاخريات الخروج أحيانا على المقاييس الصرفية الخاصة بالمصادر أو الاشتقاق ، كما يخرج على الصور الشعرية الموروثة أيضا مستعينا أحيانا بتراسل الحواس في (الثغر الذي كالعبير) و(الردف الذي كالقصور) ، ومستدرجا مرة أخرى في نداء الحبيبة بـ(أخت) وهو لم يشتهر في الأدب العربي .

وربما لأجل ذلك كان أقل ما يستحقه هذا الشاعر أن يتم تسجيل رسالة علمية في شعره ، وقد انبرى لهذه المهم الباحث/ رضا إبراهيم مصطفى عزام، بإشراف الدكتور/ عبد الحميد محمد بدران، وذلك في المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة ، تحت عنوان (الدكتور علي محمد فاخر شاعرًا).

مراجع البحث

- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، د/ محمد مفيد قميحة. منشورات دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م
- أخبار الحمقى والمغفلين جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ). دار الفكر اللبناني . الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
- الأدب العربي الحديث. د / يوسف نوفل وآخرين، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ٩٥ / ١٩٩٦ م
- آفاق التناصية . ترجمة . محمد خير البقاعي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م
- إنباه الرواة على أنباه النحاة جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ). تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية . بيروت. الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ). تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- البيان والتبيين . عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (٢٥٥هـ) . دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ .
- تاريخ دمشق . أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) تحقيق عمرو بن غرامة العمروي . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- تجربتي الشعرية . عبد الوهاب البياتي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الثالثة . ١٩٩٣ م
- تهذيب اللغة . محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) تحقيق . محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي - بيروت . الأولى، ٢٠٠١م
- ثقافة الأسئلة. د / عبد الله محمد الغذامي . دار سعاد الصباح، ١٩٩٣

- ثمرات الأوراق في المحاضرات (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي) . ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (٨٣٧هـ) . مكتبة الجمهورية العربية، مصر
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، الخامسة ١٩٩٤م
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ). الناشر. محمد علي بيضون . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- العقد الفريد . أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) . دار الكتب العلمية – بيروت . الأولى، ١٤٠٤ هـ
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه . أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٦٣ هـ). تحقيق. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
- العنوان في الأدب العربي. د / محمد عويس، مكتبة الانجلو. الأولي، ١٩٨٨ م
- الفاخريات (ديوان) – د علي محمد فاخر – ط. مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٤٣- ٢٠٢١ .
- القاموس المحيط . الفيروز آبادي، ط. دار الحديث .
- كتاب العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي . ١٧٥هـ . دار ومكتبة الهلال، تحقيق. د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي
- لسان العرب . محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ) . دار صادر – بيروت. الثالثة – ١٤١٤ هـ
- مجلة الرسالة . أصدرها . أحمد حسن الزيات باشا (ت١٣٨٨هـ) بترقيم الشاملة آليا
- المحمدون من الشعراء وأشعارهم. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ). حققه وقدم له ووضع فهارسه. حسن معمري. دار اليمامة .١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ١٩٧٩
- معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د إبراهيم حمادة . دار المعارف ١٩٨٥
- الموشى . محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (٣٢٥هـ) تحقيق . كمال مصطفى. مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر – مطبعة الاعتماد. الثانية، ١٣٧١ هـ – ١٩٥٣ م
- النزعة الإنسانية في شعر العقاد، د/ عبد الحي دياب، دار النهضة العربية، الأولى، ١٩٦٩م
- نظرية النقد الأدبي الحديث د يوسف نور عوض، دار الأمين الأولي ١٩٩٤
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ). تحقيق. إحسان عباس. دار صادر– بيروت – لبنان ١٩٩٧م
- الوافي بالوفيات . صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤هـ) تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي . دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان – ١٤٠٣هـ، الأولى، تحقيق. د. مفيد محمد قمحية.